

OPEN ACCESS**MA'ARIF-E-ISLAMI(AIOU)****ISSN (Print): 1992-8556****<http://www.aiou.edu.pk/sab/mi/index.asp>****www.iri.aiou.edu.pk**

ظاهرة العدول بين البلاغيين القدامى والمحديثين

(دراسة مقارنة)

(Phenomenon of deviation between ancient and modern rethoricians)

* غلام مجتبى

باحث في مرحلة الدكتوراه، في الجامعة الإسلامية العالمية ياسلام آباد

ABSTRACT

The idea of deviation has attracted the minds of the scholars, rethoricians and critics since the third century AH. Many ancient scholars like "Abu Ubaidah (أبو عبيدة) Al-emaam Alzamakhshari" (إمام الزمخشري) and "Abdul Qahir (عبد القاهر الجرجاني)" in his great book (*Dalail ul iejaz*) etc... and modern scholars like Abdul Salam Almasadi" in his book (*Method and stylistic*) and "Mohammed Abdul Mutualib" in (*Rhetoric and stylistic*) and "salah Fadl" in (*ilmul Auslub*) have taken part in the study of methodology.

Modern Westerners have also contributed significant shares in the subject, Paul Valery says about stylistic: "What is the only deviation from the rule or the original topic of speech is a violation." As Cohen said: "we will not involve quality properties for a method to express Vrdath This does not preclude that there would be elements inherited traditional beside those unique items, because it is impossible that the text on what is unique only and does not value him if the traditional elements.

Fortunately we find a link in old and modern style in the field although we found the word (العدول) and modern usage of it word (الآخران) for the same cause. I will try to hold both old and modern scholarly ideas and deliver some sufficient references for their relations.

In the end of me research I endeavor to compare both the opinions of old and modern scholars. And I mentioned the aspects which are agreed upon and aspects which are controversial between them.

المدخل

إن العدول موضوع لطيف وقد يمتد جذوره إلى التراث العربي، وأحاول أن أمثل الشواهد من التراث العربي من القرن الثاني الهجري من أبي عبيدة إلى أن تم استقلاله على نحو حاسم على يد أبي يعقوب السكاكبي صاحب كتاب (*المفتاح*) في القرن السابع المجري. ثم أتوجه إلى العصر الحديث وأتناول ما يلفظ عليه

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامي والمحدثين

المصطلح (الانحراف) وأثبتها بالأدلة مع ذكر آراء المحدثين من العرب والغرب. وفي نهاية البحث أحياول أن أقوم بمقارنة بين آراء القدامي والمحدثين، وأذكر أوجه الاتفاق وأوجه الخلاف بينهما أيضاً.

أهمية الموضوع

راودت فكرة العدول أو الأسلوب ووجوه الأداء الكلامي أذهان البلاغيين والنقاد منذ القرن الثالث الهجري، وكان أبو عبيدة معمربن المشي (المتوفى: 208هـ) أول من أسهم في هذا المجال، رغم نجد أمثلة موجودة في الشعر يسبقه زمناً. نحو الباقلاني (المتوفى: 403هـ) قد رأى في نص شعري لامرئ القيس على اعتباره من القدامي الموجودين في الشعر، وكان يسمى بعض شعره سلاسل الذهب، مشيراً وهو يعرض هذا النموذج إلى أهم ملامحه البنائية في الابتداء والتخلص والانتهاء وتوازي الأجزاء وتماسك الأقسام، منها إلى ما يمتاز به سمات على نطاق اللغة والأسلوب والمعنى والموضوعات.

كثير من العلماء القدماء والمحدثين تناولوا موضوع الأسلوب (العدول)، ومن السلف، نحو الإمام الزمخشري (المتوفى: 538هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (المتوفى: 471هـ) في دلائل الإعجاز وغيرهما، ومن المحدثين مثل عبد السلام المسدي (ولد في يناير 1945م) "الأسلوب والأسلوبية"، ومحمد عبد المطلب (المتوفى: 1980م) في البلاغة والأسلوبية، وصلاح فضل (ولد في 31 مارس 1938م) في "علم الأسلوب". وفي الحقيقة أن المحدثين عرضوا مسائل في غاية الأهمية خصوصاً في الجانب النظري، أما المجال التطبيقي فكان مداه محدوداً عندهم، والقدماء أكثر إسهاماً في مجال التطبيق.

ومن المحدثين الغربيين كذلك إسهاماً كبيراً في هذا الموضوع، حيث يرى بول فاليري (المتوفى: 1945م) عن الأسلوب، ما هو إلا إنحراف عن القاعدة أو الأصل الموضوع عليه الكلام أو هو الانتهاك. كما يرى جان كوهين: (المتوفى: 1994م) إن الأسلوب فلن ينطوي على خصائص نوعية ليعبر عن فرداته وهذا لا يمنع أن تكون هنالك عناصر موروثة تقليدية بجانب تلك العناصر الفريدة، لأنه من الحال أن يقوم النص على ما هو فريد فحسب، وكذلك لا قيمة له إذا قام على عناصر تقليدية بصورة كلية. كل هذه الأقوال خير دليل على أهمية الموضوع عند القدماء والمحدثين من الشرق والغرب

تعريف العدول

كلمة العدول متداولة بين الشر والشعر للمعنى مختلف، وذكر اللغويون لها معانٍ كثيرة، وأنناول منها ما تتعلق بموضوعي.

قال ابن دريد (ت: 321هـ): "وعدلت الشيء بالشيء عدلاً، إذا جعلته بوزنه، وعدلت عن الشيء، إذا مللت عنه". وقال ابن منظور (ت: 711هـ): "قولهم، عدَّل عنـه، يعْدِل عدولاً إذا مال كأنه يميل من الواحد إلى الآخر".^٢

وقال الرَّبِيِّدي (ت: 1205هـ) في تعريفه: "والعدُّل: أن تعديل الشيء عن وجهه، تقول: عدلْ فلانا عن طريقة، وعدلْ الدابة إلى موضع كذا، وفي الحديث: لا تعدل سارحُكُمْ، أي: لا تصرُّف ما شئُكُمْ، وتمال عن المرعى".^٣ ويناسب لو قسمنا معنى العدول إلى دلالتين رئيسيتين، الأولى: تدل عليها المعاجم أن الكلمة العدول استنبطت من المادَة اللغوِيَّة: (ع دل) وما يمكن أن يشتق منها محصور بين الدلالة الأولى المتمثلة في الإنصاف، وإحقاق الحقوق، أن العدل: كالعدالة والعدول والمعدلة والمعدلة. عدل يعدل فهو عادل من عدول وعدل بلفظ الواحد. والدلالة الثانية: عدل عن الشيء يعدل عدلاً وعدهلاً حاد عن الطريق حار وعدل إليه عدولاً رجع، وماليه معدل ولا معدولاً، أي: وعدل الطريق مال.

العدول اصطلاحا

عبد الله ابن وهب الذي اشتهر بالكاتب (المتوفى: 197هـ) سمي العدول بالصرف، فقال: "وأما الصرف فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب ومن الواحد إلى الجماعة".^٤ ويقول ابن جني (المتوفى: 322هـ) في كتابه (الخصائص) لفظة العدول في حديثه عن المجاز إذ يقول: "إنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتساع التوكيد والتشبيه فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة".^٥

ويقول السكاكي (المتوفى: 626هـ): "إن إخراج الكلام لا مقتضى الظاهر أسلوب متفننة، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا وهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة، ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتسرّب من أفانيين سحرها ولا كالأسلوب الحكيم فيها".

ويقول ابن الأثير (المتوفى: 630هـ): "واعلم أيها المتواشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهو لا يتتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارهما وفتح عن دفائنهما ولا تجد ذلك في كل كلام فإنه من أشكال ضروب علم البيان وأدقها فهمًا وأغمضها طريقًا".^٦

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامى والمحدثين

أولاً: أسس العدول عند القدماء

في التراث البلاغي إشارات متعددة إلى ظاهرة العدول بين عدد المخاطبين، وكان يشار إليها في بداية تلمس الظاهرة بمصطلحات أخرى.

إن أبو عبيدة معمراً بن مثنى (ت: 209هـ) أول من أشار إلى هذه الظاهرة تحت مصطلح المجاز. وأذكر بعض الأمثلة ما أوردها الإمام في تفسيره، حيث يقول: من مجاز لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى الواحد على الجميع كقوله تعالى: **(يُخْرِجُكُمْ طَفْلًا)** في موضع أطفال... قوله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوهَا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)**، في موضع إخوتكم.. ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد قوله تعالى: **(وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ طَهِيرٌ)** في موضع ظهراء^{١١}... ويلاحظ أن بعد ذلك عدل الكلام إلى الجمع حيث قال: **(ثُمَّ لَتَكُونُوا شُبُوْخًا)** فالكلمة شيوخ تقتضى أن تكون في البداية كذلك الجمع (أطفالاً) بدلاً عن الكلمة (طفل).

وتناول ابن قتيبة (ت: 276) بعض الإشارات لهذه الظاهرة تحت مصطلح المجاز وفي ذلك يقول: وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول وما ينطوي عليه الاستعارة والتمثيل والقلب، والتقديم والتأخير، والحدف، والتكرار، والإخفاء والإظهار، والتعریض والإفصاح والكتابية والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن^{١٢}.

عبد الله بن المعتز_ (ت: 296) كان السباق وأول من فن منهج البلاغة ووسائل تحسين الأسلوب الأدبي، وعبد الطريق لكثير من علمائها الذين راجت بهم الصنعة فاستخرجوا أنواعاً لا تحصى على أنها بدأها بشمنية عشر نوعاً، جعل خمسة الأول باسم البديع، والباقي صنفه باسم المحسنات، ومنه أنواعه: الاستعارة والتجنسيς والمطابقة والمذاهب الكلامي والالتفات، والاعتراض وحسن الخروج والرجوع، وحسن التضمين، والتعریض والكتابية والافراط في الصفة، وحسن الابتداء والتسييء. فهذه الأنواع سبقه إليها من تقدمه، أما الأنواع المبتكرة فهي: رد الإعجاز على الصدور، تأكيد المدح بما يشبه الندم، الهزل الذي يراد به الجد، تجاهل العارف، لزوم ما لا يلزم^{١٣}.

قدامة بن جعفر المتوفى: (337) كان من مشاهير البلغاء الفصحاء الذين يضرب بهم المثل في البلاغة، ومن الفلاسفة الذين يشار إليهم بالبنان في علم المنطق والفلسفة. وقد استكمل بعد ابن المعتز تأسيس مباحث علم (البديع)، وحمل لوائه، وتوضيح معالمه، وتحديد نهجه.

عرف قدامة بن جعفر - رحمه الله - الالتفات بقوله: "هو أن يكون المتكلم آخذًا في معنى فيعترضه إما شكا فيه، أو ظننا أن راداً يرده عليه، أو سائلًا يسأله عن سببه فيلتفت إليه بعد فراغه منه"^{١٤}.

ابن طباطبا العلوى: المتوفى: (٣٢٢هـ)

ابن طباطبا من الأوائل الذين التمسوا للأسلوب مفهوما رغم عدم تسميته لفظاً بالأسلوب، حيث نجده يشير إلى ذلك عند حديثه عن طريقة الشاعر إذا رغب النظم، فهو يقول: "المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه إيه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه. فإذا اتفق له بيت يشاكلاً المعنى الذي يرومته أتبه، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه بل يتعلق كل بيت يقف نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله. فإذا كملت له المعنى، وكثرت الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظماً لها سلكاً جاماًعاً لما تشتت منها"^{١٥}. ومن ثم نجد أن الأسلوب هو أساس صناعة الشعر، يجمع بين الرؤية التي يمتلكها الشاعر والاحتراف اللغوي والإيقاعي والجمالي، يتأمل المبدع من خلاله، حيث يقول: "ما أداء إليه طبعه ونتجه إليه فكره، يستقصي انتقاده، ويروم ما وهي منه"^{١٦}. إن مفهوم الأسلوب الجيد القائم على أصول فنية كالتطابقة بين اللفظ والمعنى ابتداءً والتوفيق بين القوافي والأبيات انتهاءً قائم من اهتمام ابن طباطبا بخصائص نظم الشعر، لأن شأن الشاعر في اعتقاد ابن طباطبا كشأن الناسج الحاذق، كما يقول: "النساج الحاذق الذي يوفق وشيه بأحسن التوفيق ويسلديه وينيره"^{١٧}.

إن المتأمل في نظرية ابن طباطبا إلى الأسلوب يجد أنها لا تقوم على أصل واحد متفرد كاللفظ والمعنى، بل يرى أن الأسلوب ليس المعنى وحده واللفظ وحده، وإنما هو مركب فني من عناصر مختلفة يستمد لها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه. وتلك العناصر هي الأفكار، والصور والعواطف، ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة، ومن ثم فالأسلوب في النص هو الأساس في نسج بيته عبر جميع مستوياتها.

عبد القاهر الجرجاني المتوفى: (٤٧١هـ)

إن عبد القاهر الجرجاني رحمه الله كان عبرياً فذا، وله حظ عظيم في البلاغة العربية في جميع مجالاتها. وجاءت إشارة عرضية إلى العدول في كلام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله، في باب الحكاية - حينما ذكر ما حصل في حضرة الحجاج حيث قال الحجاج: لأهلنك على الأدهم^{١٨} يريد القيد، فقال على سبيل (المغالطة) ومثل الأمير يحمل على الأدhem والأشہب" يريد الأسود والأبيض. فالباحث سماه هذا الأسلوب بـ (المغالطة) فقد ذكر الإمام الرازي نقطة لطيفة عن عبد القاهر الجرجاني لها علاقة وثيقة بالدراسات الجديدة، في أعمال عبد القاهر الجرجاني تعد في مفهوم علم اللغة الحديث من أبرز ما توصل إليها اللغويون اليوم، وهي ما يشار بشأن اعتمادية العلاقة بين اللفظ والمعنى. فخر الدين الرازي بصدق بيان حالات الألفاظ في دلالاتها الوضعية دلالاتها المعنوية، وقد رتبها على قسمين، وبين أن ما يتعلق بالدلالة اللفظية منحصر في أمرتين، ثم تسلسل إلى أنه ليس الغرض الأصلي من وضع الألفاظ المفردة إفادتها لسمياتها، لأن إفادتها موقوفة على العلم

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامى والمحديثين

بكونها موضوعة لها. وهذا العلم متوقف على العلم بتلك المسميات. ولو استفينا العلم بتلك المسميات من تلك الأساسية، للزم الدور. - ثم أشار إلى قول الله تعالى استدلالاً إلى هذه النقطة: (وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالُوا أَنْبِئُنَا بِإِسْمٍ هُوَ لَاءٌ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ¹⁹) يقتضي أن يكون المخاطبون بهذا الخطاب، عالمين بتلك الأسماء، حتى يصح مطالبهم بذكر أسمائهما.

ومعنى ذلك: إن المسميات لا تشير إلى أسمائهما، وإنما لا مكن الملائكة أن يذكروا الأسماء بمجرد رؤية المسميات، أي أن العلاقة بين الاسم والمعنى، علاقة غير طبيعية، وإنما هي علاقة تعليمية

الإمام الرمخشري المتوفى: (538هـ) له يد طولى في مجال الالتفات وظهور مظاهرها في شرح الكشاف، وهو يؤكّد أن التحول الأسلوبى في البلاغة العربية يسعى إلى تحقيق فائدتين: "إدراهما عامة في كل تحول أسلوبى، وهي إمداد المتنقي وجذب انتباهه، والأخرى خاصة تمثل فيها يوحى كل تحول من إيحاءات ودللات خاصة عبر عنها بقوله: "إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريقة لنشاط السامع، وإيقاظه للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وتحتّص موقعه بفوائد"²⁰.

ونقل ابن الأثير قول الإمام الرمخشري رحمة الله: "إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب، تطريقة لنشاط السامع، وإيقاظه للإصغاء إليه"²¹. رغم أن ابن الأثير لا يقبل رأى الرمخشري ويتعجب بمفهوم الالتفات أو العدول وغضبه عنده، ويقول: "وما أعلم كيف ذهب على مثل الرمخشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة"²².

لا أستطيع أن أنقل خلافهما في هذا الموضوع، لذلك أشرت إليها باختصار، وغرضي هنا إشارة إلى شواهد العدول عبر التاريخ في آراء البلاغيين والمفسرين.

السكاكى المتوفى: (626هـ)

وأول من جاءت لديه هذه التسمية بوضوح هو السكاكى رحمة الله، حيث قال: "ولهذا النوع أعني إخراج الكلام لا مقتضى الظاهر أساليب متفرّنة، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة، ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتسرّب من أفنان سحرها ولا كالأسلوب الحكيم فيها"²³.

ورأى السكاكى عن العدول في الفعل، - أعني العدول من الماضي إلى المضارع - يصير أصلاً بلاغياً ثابتاً، إذا اقتضى السياق اللجوء إليه، فقال: "إنه - الانتقال من التعبير بالماضي إلى المضارع - طريق للبلاغة لا يعدلون عنه، إذا اقتضى المقام سلوكه"²⁴.

وقال ابن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ): "علم الأدب العربي والبلاغة التفاتاً. وفي ضابط أسلوب الالتفات رأيان لأئمة علم البلاغة: أحدهما رأى من عدا السكاكى من أئمة البلاغة وهو أن المتكلّم بعد أن يعبر

عن ذات بأحد طرق ثلاثة من تكلم أو غيبة أو خطاب ينتقل في كلامه ذلك فيعبر عن تلك الذات بطريق آخر من تلك الثلاثة، وخالفهم السكاكي يجعل مسمى الالتفات أن يعبر عن ذات بطريق من طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة عادلاً عن أحد هما الذي هو الحقيقي بالتعبير في ذلك الكلام إلى طريق آخر منها.

إن السكاكي له آراء مختلفة في العدول، وعرف العلماء فروقاً بين السكاكي وغيره. اعتبر المفسرون آراء السكاكي كمدرسة على حدة وذكروا آراءه مع ذكر اسمه في التفاسير، كما قال الإمام أطفيش في شرح الآية المذكورة:

(رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَحْكُمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) ^{٢٥}.

"وَقَيلَ: مِنْ كَلَامِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مُعْتَرَضٌ وَلَا سِيَّاً أَنْ بَيْنَ الْكَلَامِيْنِ مَدَةٌ، وَعَلَى الْأُولَى وَالْأَصْلِ وَمَا يَخْفِي عَلَيْكُمْ، وَوَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعُ الْمُضْمِرِ قَصْدٌ إِلَى ذِكْرِهِ تَعَالَى بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي يَسْتَجَابُ بِهِ التَّفَاتَاتُ مِنْ الْخَطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ، وَعَلَى الثَّانِي الْأَصْلِ وَمَا يَخْفِي عَلَى مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، عَلَى الالْتِفَاتِ - السَّكَاكِيِّ - مِنْ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ، اعْتَرَضَ بِهِ تَصْدِيقًا لِكَلَامِهِ قَبْلَ تَمَامِهِ، وَقَدِمَ الْأَرْضَ لِلْفَاصِلَةِ، وَلَأَنَّ الدَّاعِيِّ وَالْمَدْعُولُ فِي الْأَرْضِ، وَلِيَكُونَ عِلْمُهُ بِهَا فِي الْأَرْضِ كَالْبَرَهَانِ لِعِلْمِهِ بِهَا فِي السَّمَاءِ، وَالْأَمْكَنَةُ عَنْهُ سَوَاءٌ، فَإِذَا عِلْمَ مَا فِي الْأَرْضِ فَعِلْمَهُ بِهَا فِي السَّمَاءِ أَوْلَى بِحَسْبِ الرَّأْيِ، لَأَنَّهَا فِي جَهَةِ مَحْلِ الْلَّوْحِ وَالْوَحْيِ، وَهُوَ مُتَنَزِّهٌ عَنِ الْحَلْوِ" ^{٢٦}
قد تناول البلاغيون والمفسرون قضية العدول تحت عناوين مختلفة، وشاركوا فيه حسب معرفتهم في هذا المجال، واكتفت على ذكر بعضهم منهم الذين نالوا شهرة في هذا المجال.

هذه النظرة الموسعة لظاهرة الالتفات تبلورت واستقرت على سوقها على يد بلاغي رصين هو ابن الأثير ^{٢٧} المتوفى: (٤٣٠هـ) الذي استوعب صور الالتفات في الصيائر والأفعال في كتابه "المثل السائِر" حيث أفرد لها باباً مستقلاً تحت عنوان: "في الالتفات"، وقسمه ثلاثة أقسام جعل القسم الأول منها خاصاً بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، وخصص القسم الثاني لتناول ظاهرة الالتفات عن الفعل المستقل إلى فعل الأمر وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر. ثم ختم هذا الباب بالقسم الثالث الذي تناول فيه ظاهرة الالتفات عن الفعل الماضي إلى المستقل، وعن المستقل إلى الماضي، وختم هذا القسم بالإشارة إلى الالتفات عن المضارع إلى اسم المفعول استشهاداً له بقوله تعالى: (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) ^{٢٨}. ورأى أنّ (مجموع) معدول عن (يجمع) ^{٢٩}.

ومن الأمثلة في التراث: أمثل بالمثالين الآتيين: (محمد صائم النهار وقائم الليل) و(محمد صائم النهار ويقوم الليل).

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامى والمحديثين

ففي المثال الأول نلاحظ أن صيغة اسم الفاعل (قائم) عطفت على صيغة اسم الفاعل (صائم). هنا التماثل الصيغى يحمل قيمتين: قيمة عقلية منطقية ناشئة من ضم المتماثلات بواسطة الدال (حرف العطف الواو)، وقيمة إيقاعية متولدة عن التماثل المقطعي الصوتي بين المتعاطفين.

ومثال الثاني الذى عطف فيه المضارع على اسم الفاعل - رغم كونه سليماً من الناحية التركيبية والإعرابية - يفتقر إلى القيم المنطقية والجمالية التي يكتنزها المثال الأول. لكن هذه القيم يمكن التسامح فيها والتضاحية بها إذا كانت المغايرة بين صيغتي المتعاطفين تؤشر إلى قيمة دلالية معينة لا يمكن أن تؤديها ماثلة المعطوف للمعطوف عليه صيغياً، لأن يكون العدول عن صيغة اسم الفاعل (صائم) إلى صيغة المضارع (يقوم) دالاً على أنَّ اتصاف محمد بقيام الليل ليس على سبيل الاستمرار والثبوت كصيام النهار (دلالة اسم الفاعل) وإنما على سبيل التجدد والتكرار.

ونلاحظ نفس الظاهرة العدولية من المصدر إلى الفعل في قوله تعالى: (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشَرَّى لَكُمْ وَلَتَطَمَّنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ^{٣٠}). قوله: (لتطمئن) فعل ، وقوله (إلا بشرى) اسم، وعطف الفعل على اسم مستتر، فكان الواجب أن يقول: إلا بشرى لكم واطمئناناً، أو يقال: إلا ليبشركم ولتطمئن قلوبكم به، فلم ترك ذلك وعدل عنه إلى العطف الفعل على الاسم.

لاحظت نقطة لطيفة في العدول في الآية المباركة: إنَّ فائدة العدول من الاسم: (بشرى) إلى الفعل: تطمئن. حيث اسم بشرى يدل على المعنى في الدوام، لأنَّ البشرة تحمل المسؤول في طياته، ولو كان لها العلاقة بالماضي، فإنَّسان يتلذذ بذكر الماضي، وبالحال، حيث يملاً سروراً وحناناً بها، وفي المستقبل، حيث يفكر عنه ويتلذذ بوجوده باعتبار ما سيكون. أما اطمئنان له العلاقة بالقلب، وقلب الإنسان لا يبقى على حالة واحدة، بل يتغير كيفيته بغير الأحوال وكان مناسباً له أن يذكر بالفعل.

ثانياً: العدول عند المحدثين

تعددت اتجاهات الأسلوبية منذ ظهورها في بداية القرن العشرين، وقسم علم الأسلوب إلى نوعين: أولهما: علم الأسلوب العام، الذي يعني بالنظر لدراسة الأسلوب. وثانيهما: علم الأسلوب التطبيقي. والثاني يتفرع إلى نوعين: الأول، الذي يتناول بدراسة الأنماط التعبيرية في حقل لغوي معينه مثل لغة المشغلين بمهمة معينة أو لغة الصحافة.

والآخر: يدرس خصائص الأسلوب عند كاتب معينه في كل إنتاجه الأدبي أو بعضه أو مؤلفاته^{٣١}.

الاتجاه الأول يعرف الأسلوب: (بوصفه ترابطاً منطقياً وشكلها وبنية، وإجمالاً بوصفه تجمعاً متناسقاً متفرداً لأنواع عامة متعددة داخل عمل خاص³²) يمثل هذا الاتجاه كلينث بروكس (cleanth Brook) في أمريكا، وفيكتور فينوجرادوف (Victor Vinogradov) في روسيا³³.

والاتجاه الثاني فهو ينظر إلى الأسلوب على أنه انحراف عن النمط، وانتهاءً له ومخالفته، ويعتبر leo (Spitzer) في ألمانيا وبير جирول في فرنسا من رواد هذا الاتجاه³⁴.

كلا الاتجاهين لها أهمية خاصة في مجالها، وأما ما أقصده في البحث هو الاتجاه الثاني.

ويقول د. موسى سامح ربابعة — وهو الأستاذ بجامعة الكويت — عن ما هي الأسلوب: "منذ أن بدأت الدراسات الأسلوبية ظهرت هناك تساؤلات متعددة تقوم في كون الأسلوب لا يتضمن تعريفاً محدداً جاماً شاملاً، بل جاءت تعريفات الأسلوب بشكل متعدد، وذلك حسب منطلقات الناقد أو الدارس، وظهرت لذلك عدة أسلوبيات ولم تبق الأسلوبية أسلوبية واحدة، بل ظهرت أسلوبيات مختلفة مثل: أسلوبية بالي وأسلوبية شبترر وأسلوبية ريفاتير وأسلوبية جIRO وأسلوبية ستانلي فيش وغيرهم من النقاد الذين اشتغلوا على الأسلوبية"³⁷.

وخيّل لي أن السبب في تعدد الأسلوب، أنّ لكل شخص أسلوب يتميّز عن أسلوب غيره، وإذا تعددت الأشخاص فتعددت الأساليب والطرق.

تعريفات الأسلوب

كما ذكرت تعدد التعريفات للأسلوب وسأذكر بعضها. يقول د. محمد مندور عن الأسلوبية: "بأنه الخروج عن قواعد اللغة وعلى المألوف من التعبير والتركيب، ومخالفة المقاييس المتعارف عليها التماساً لجمال الأداء وروعته"³⁸.

وأعجبني ما قاله رولان بارت في تعريف الأسلوب: "والاسلوب - هو ما بعده تقريباً - فالصورة والإلقاء والمعجم تولد من جسم الكاتب وماضيه لتغدو شيئاً فشيئاً آليات فنه ذاتها"³⁹.

والتعريف الآخر ذكره د. فتح الله: "الاسلوب ينبع من زاوية النص، فيعتمد على فكرة الثنائية اللغوية التي تقسم النظام اللغوي إلى مستويين: مستوى اللغة، ويقصد به بنية اللغة الأساسية، ومستوى الكلام، ويعني اللغة في حالة التعامل الفعلى بها"⁴⁰.

ومن الممكن أن نقسام المستوى الثاني المذكور في تعريف د. فتح الله سليمان إلى قسمين آخرين، أو لهما: الاستخدام العادي للغة، وثانيهما: الاستخدام الأدبي لها. وفي الحقيقة أن المستوى الثاني هو مجال البحث الأسلوبى باعتبار أن الفرق بين الاستخدام العلمي للغة والاستخدام الأدبي لها. وعندما نتحدث عن العدول عن النسق

ظاهرة العدول بين البلاغيين القدامى والمحدثين

فهو حسب المستوى الثاني الذي يعرف عند الأسلوبين انحرافاً أو خروجاً على ما هو مألف في الاستعمال اللغوي مما يسمى كذلك عند الأسلوبين بالخاصية الأسلوبية.

ويقول موريس في تعريف الأسلوب: "هو ابتعاد عن الكلام المألف المستعمل، فقولنا: (سال ماء الوادي) قول مألف، أما قوله: (سال الوادي) فابتعاد عن المألف وخروج عن المستعمل، وبالتالي نحن تجاه ظاهرة أسلوبية تعرف بالابتعاد"⁴¹.

ويقول رومان جاكبسون⁴² في تعريف الأسلوبية: " بأنها بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانياً".⁴³

أما تعريف الأسلوبية عند مائكل ريفاتر⁴⁴ (Michael Riffaterre) فإنه يقول: " بأنها علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميزة التي بها يستطيع المؤلف الباحث مراقبة حرية الإدراك لدى القارئ المتقبل والتي بها يستطيع أيضاً أن يفرض على المتقبل وجهة نظره في الفهم والإدراك فيتهي إلى اعتبار الأسلوبية (لسانيات) تُعني بظاهره حمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصوص".⁴⁵

عرف ماروزو⁴⁶ (Julse Marouzeau) منذ سنة 1931 الأسلوب بأنه: " اختيار الكاتب كما من شأنه أن نخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميز بنفسه".⁴⁷
اتجاهات الأسلوبية

قسم المفكر الألماني بيير جирه والأسلوبية المعاصرة إلى اتجاهين مهمين متعارضين وهما: الأسلوبية التقليدية، والأسلوبية الجديدة. الاتجاه الأول رائدته بالي، ورائد اتجاه الثاني هو جاكبسون.

1: نظرية شارل بالي⁴⁸ (Charles Bally) في الأسلوبية

يعد شارل بالي مؤسس علم الأسلوب معتدماً في ذلك على دراسات أستاذته فردیناند دوسویر على العناصر الوجданية للغة، وهو تركيز تلقفه عالم الأسلوب الألماني (Seidler) الذي نفى أن يكون الجانب العقلي في اللغة يحمل بين ثناياه أي: بعد أسلوبي. بالي ركز على الجانب التأثيري والعاطفي في اللغة وجعل ذلك يشكل جوهر الأسلوب ومحتواه.⁴⁹

والتفت بالي إلى الجانب الوجданوي وتأصيله لفهم الأسلوب، وقد ألف مجموعة من الكتب. ومن خلال المناقشات التي أدارها بالي في دراساته فإنه تبني فكرةً أساسية ومحورية لها أهميتها في الدراسات الأسلوبية حيث يقول: " تدرس الأسلوبية وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجданية، أي أنها تدرس تعبير الواقع للحساسية المعاشر عنها لغوياً كما تدرس فعل الواقع اللغوية على الحساسية".⁵⁰

ويبدو من بحوث بالي أنها منحصرة على دراسات اللغوية ولم تتجاوز إلى مجال الأدب. ولذلك يقول د. موسى رباعة عن هذه القضية: "إن هذه الالتفاتات من بالي لم تتجاوز حدود اللغة العامة، والشائعة ولم ينقلها إلى ميدان دراسة الأسلوب، وبذلك ظلت أسلوبية بالي هي أسلوبية اللغة وليس أسلوبية الأدب. وبذلك يكون بالي قد جعل الجانب التأثيري ليس في اللغة من حيث هي استعمال، وإنما من حيث هي ظاهرة قائمة في اللغة بشكلها العام".⁵¹

وي بيان بالي الكيفية التي يتم بها تحديد الجانب العاطفي في اللغة، ويدرك طريقتين مختلفتين لتمييز الخصائص المعبرة للغة ما، حيث يقول: "فإما أن نقارن وسائل التعبير فيها بوسائل التعبير في لغة أخرى، وأما أن نقارن الأنماط التعبيرية الأساسية في اللغة نفسها".⁵²

حسب آراء علماء الأسلوبية أن أسلوبية بالي قد ابعت عن النص الأدبي، ولم تدرس بمعايير النقد الأسلوبي، وسميت أسلوبية بالي بأسلوبية التعبير ظلت تعبيرية بحتة، ولا تعني إلا الإيصال المألف والعفو، وتستبعد كل اهتمام جمالي أو أدبي.

وقد حاول ليوشترر (d.c.freeman) محاولات مفيدة لاتصال بين الأسلوب اللغوي والنصوص الأدبية. وبخاصة يقيم جسراً بين دراسة اللغة ودراسة الأدب وأسس الأسلوب المثالية.

المترفات المهمة التي بنى عليها ليوشترر أساس أسلوبيته أذكر منها ما تتعلق بموضوعي هي:

○ إن عملية الدخول إلى الأثر الأدبي تكون من خلال الحدس القائم على الموهبة والدرية والتجربة.

○ إن السمة الأسلوبية المميزة تكون عبارة عن تفريغ أسلوب فردي أو هي طريقة خاصة في الكلام تنزاح عن الكلام العادي.

○ إن كل ازياح عن القاعدة ضمن النظام اللغوي يعكس ازياحاً في بعض الم Yadين الأخرى. وأرى هذه النقاط المهمة التي ركّز عليها ليوشترر تبرز صلة وعلاقة بين النصوص الأدبية والأسلوب اللغوي.

2: نظرية جاكبسون في الأسلوبية

استمرت الدراسات الأسلوبية ضمن هذه المعطيات التي أغرسها بالي وشترر حتى جاء جاكبسون وقدم طروحات جديدة تبرز من خلال تعريفه للأسلوبية إذ يقول: "إنها البحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً، وعن سائر الفنون الإنسانية ثانياً".⁵³

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامى والمحدثين

وأطرح جاكبسون طروحات في معالجة قضية اللغة والإيصال مهمة جداً في تطور الدراسات التي تجسر الرابط بين علم اللغة والنصوص الأدبية. وهو ركز في دراسته للغة على قضية الإيصال، وقسم الكلام على ثلاثة أطوار:

أول: مرسل. وثاني: رسالة (سياق، قناة، سنن). وثالث: مرسل إليه.

ويهتم جاكبسون بالوظيفة الشعرية توجد في المرسلة الشعرية التي هي ككل المرسلات واقع السنن، إلا أن اللغة التي تحمل كلماتها تتوقف عن التصريح والإفصاح عن مغزاها، هذا التوقف يفقد متلقي المرسلة قدرته على الكشف عن مضمونها فيلعب دور المعاين الذي يحاول أن يستخلص من المرسلة ذاتها السنن المستعملة. وبهذا تختلف الوظيفة الشعرية عن الوظائف الأخرى التي تحدث عنها جاكبسون⁵⁴.

وبهذا التعمق في الدراسة الشعرية الأسلوبية استطاع جاكبسون أن يميز ما هو شعري عما هو غير

شعري.

3: ميشال ريفاتير

حظ ميشال ريفاتير في بناء الأسلوبية كبير، وبدأت الأسلوبية البنوية مساراً منها في تناول الأسلوب في النص الأدبي، وهو تناول هذا الموضوع في كتاب خاص لهذا الغرض وسياه (محاولات في الأسلوبية البنوية) صدر سنة 1971 م. وقد تتمثلت غاية هذا الكتاب في أن الأسلوبية البنوية تقوم على تحليل الخطاب الأدبي.

ومن أخطر القضايا التي طرحتها ريفاتير يكمن في ذلك التركيز على الوحدات الأسلوبية في النص، لتميز الوحدات اللغوية التي لا تقع ضمن المعطيات الأسلوبية، ولأن النص يحتوي على بعض الظواهر التي يمكن أن يحتوي على سمات أسلوبية، وبذلك تصبح الأسلوبية قائمة على الانتقاء أو الاختيار في المعالجة، أي معالجة الظواهر الأسلوبية دون الالتفات إلى العناصر الأخرى.

ومن مظاهر الجمال في تعريف الأسلوب عند ريفاتير أنه يهم القارئ أو المخاطب، ويفوقه على الرسالة أعني النص، أو المتكلم، لأن يجري الكلام ما يناسبه المتلقي، لا المتكلم. ولذلك هو يقول: " هو ذلك الإبراز الذي يفرض على انتباه القارئ بعض عناصر السلسلة التعبيرية. مع الإلحاح على أن إهمال القارئ لهذه العناصر يؤدي إلى تشوية النص"⁵⁵.

ومن خلال هذا الطرح يتجسد الاختلاف بين رؤية جاكبسون الذي يحول التحليل الأسلوبى إلى تحليل لساني، أما ريفاتير فإنه يركز على فكرة التواصل التي تحمل طابع شخصية المتكلم في سعيه إلى لفت نظر المخاطب. وهذا اعتبرنى عناية كبيرةً بالمنشىء الذي يشفى تجربته الذاتية. وبالمخاطب الذي يفك شيفرة مثل هذا التعبير، وهو بذلك يؤكد على تجاوز ما جاء من جاكبسون الذي كانت نظريته لا تنظر إلى الرسالة الشعرية

بوصفها تكيفاً لمتطلبات التواصل، وبدلاً من ذلك ينظر إلى إسقاط مبدأ التماثل على الرسالة بكيفية ما، بوصفه يحررها من المقام ويجعلها غامضة وغير تداولية.

ومن امتيازات في نظرية ريفاتير تلك الظاهرة التي تحوّل في التحليل منحى نفسياً وسلوكياً، وهذا الأساس الذي اعتمدته ريفاتير في التحليل الأسلوبـي قاده إلى التركيز على المتقبل أو القارئ، وسماه بالقارئ 56 العملة

عند ريفاتير إلى تجنب رد المعيار الذي يحدث عنه الانحراف إلى شيءٍ واقع خارج النص، وإنما جعله في النص نفسه، ولذلك قال: "تنتج القوة الأسلوبية من إدخال عنصر لا يتباً به"⁵⁷. ولذلك يكون السياق هو الذي يتحدد به المعيار. ومثل عن هذه النظرية يقول: "هذا الصفاء المعتم الساقط من النجوم". حيث إنه جمع بين متنقابلين وهما: المعتم والصفاء، وبهذا تحدث منها أسلوبياً يتطلب استجابة من القارئ، إذ إن الكلمتين تتنميان إلى حقول مختلفين، وهذا ما يسميه بالسياق الأصغر الذي يقوم على تشكيل المفاجأة التي أعطاها أهمية كبيرة، تلك المفاجأة التي ترتبط بها هو غير متوقع، وغير المتوقع يغدو منها أسلوبياً لا بد له أن يحدث استجابة ما لدى المتلقي. فكل واقعة أسلوبية تنشأ من سياق ومن تعارض⁵⁸. وسمى ريفاتير هذا السياق بالسياق الصغير، ولكنه أشار إلى نمط آخر في السياق سماه بالسياق الكبير، وهو سياق عرف على أنه جزء من الخطاب الأدبي، الذي يسبقه الأجراء الأسلوبي ويوجده خارجه وقد قسمه إلى قسمين:

الأسلوبية في مجال اللغة والنقد الأدبي

انتبه الباحثون إلى الأسلوب في أول وهلة خاصة لغورية، وبنيت على هذه النظرة جهة تقدم الشواهد عليها، ومع مرور الزمن انتبهوا إلى الآثار الأسلوبية في النقد والبلاغة واستمرت هذه المعركة بين جهتين، وربما كان كوهن هو أول من خصّ هذا المصطلح بحديث مستفيض في مجال حديثه عن لغة الشعر، كإحدى المحاولات الجادة في حقل الدراسات البلاغية والشعرية.

وقد نظر علماء الأسلوب إلى اللغة في مستويين: الأول مستوى المثالي في الأداء العادي، والثاني مستوى الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها^٥. والمستوى الإبداعي في اللغة غير محدد بمعايير ثابتة أو خصائص مميزة وإنما هو تابع لقدرة القارئ على اكتشاف ما تحمله اللغة من إمكانات دلالية واسعة ناتجة عن قدرة المبدع على الترکيب والاختيار، أو قدرة المبدع على إنشاء كلام أدبي. وحقيقة إن الحديث عن الأسلوب كإطار نظري أمر واسع جدًا ولا يمكن تحديده لاختلاف وجهات النظر فيه.

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامى والمحدثين

وأرى أنَّ تعريف عبد السلام المسدي امترأجا جيلاً بين الأسلوب اللغوي الأدبي البلاغي، حيث يقول في كتابه **الأسلوب والأسلوبية**: "فإن الأسلوبية تتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والحملية"⁶⁰.

قسم فريمان (d.c.freeman) الأسلوبية في ثلاثة أنماط، النمط الأول: الأسلوب بوصفه انزياحاً عن القاعدة، والثاني: الأسلوب بوصفه تكرار للأنماط اللسانية، والثالث: الأسلوب بوصفه استثماراً للإمكانات النحوية⁶¹.

الأسلوب أمر اختياري

هذا الأمر شائع في الدراسات الأسلوبية أنَّ الأسلوب (styles) اختياري، فالمنشىء يستطيع أن يختار من إمكانيات اللغة ما يستطيع، وما يرى أنه الأقدر على خدمة رؤيته وموقفه وما يمكن أن يكون قادراً على خلق استجابة معينة عند المتلقى.

صارت عملية اختيار عملية واعية ومقصودة، لأنَّ عملية الاختيار لا تعني فقط اختيار الكلمات أو المفردات من المعجم بقدر ما تتصل أيضاً بعملية التركيب وتشكيل النسق والسيقان. ولذلك فقد تم الالتفات إلى الفرق بين اختيار المفردات أو الألفاظ أو ما يعرف بالاختيار من المعجم وباختيار التركيب⁶². إن عناصر الاختيار ترتبط بعملية الإخبار التي يريد أن ينقلها المنشىء إلى المتلقى، ولكن الغاية من عملية الاختيار هي عملية جمالية، تسعى إلى تشكيل الإثارة والدهشة عند المتلقى.

فإذا كانت اللغة العادية لغة تلقائية في كثير من الأحيان لا يتوخى من اختيارها قصدية ما، فإنَّ الاختيار الأسلوبوي اختيار واعٍ ومقصود، ولو تعمق النظر في المسودات التي يكتبها المبدعون لكان ذلك دليلاً كافياً على القصدية والاختيارات الواقعية التي لا يمكن أن تتم دون هدف أو وظيفة، وقد يوحى شطب بعض الكلمات وإبدالها بكلمات أخرى، أو إجراء تقديم أو تأخير أو لجوء إلى حذف أو تقديم بعض الأبيات أو تأخيرها أنَّ وراء مثل هذا الاختيار وعيًا وإدراكًا مقصودين لا يمكن إغفالها أو تجاوزهما في الدراسة الأسلوبية⁶³.

حاول برنند شبلنر تحديد الاختيارات على النحو التالي:

- اختيار الغرض من الحديث: وفيه يريد المتكلم - بناء على أساس محددة - الوصول إلى الغرض من الكلام أو الحديث مثل: الإبلاغ الدعوة، الإقناع، اكتساب معلومات معينة، ويمكن أن يكون المدفوع في النصوص الأدبية أغراضًا جمالية.

- اختصار الغرض من الحديث: وفيه يختار المتكلم الموضوعات غير اللغوية أو الأشياء التي ي يريد الحديث عنها، على ذلك تتحدد إمكانيات الاختيار التي لها قيمة معينة، فلو أراد مثلاً الإخبار عن حصان فيمكنه حينئذ أن يختار بين حصان، جواد، فرس.... الخ. ولكن لا يمكنه اختيار بقرة أو حمار مثلاً.
- اختيار الرمز اللغوي: يختار المتكلم إذا كان يعرف عدة لغات - لغة أو لهجة ما، وهذا الاختيار هام جداً في النصوص الأدبية، حيث تحدث إضافات بلغات أو لهجات أجنبية.
- الاختيار النحوي: ويختار المتكلم التراكيب النحوية التي تكون قواعد صياغتها إجبارية، مثلاً: جملة استفهامية أو جملة خبرية.
- الاختيار الأسلوبي: ويعثر المتكلم على الاختيار الأسلوبي من بين الإمكانيات الاختيارية المتساوية دلالية^{٦٤}.

الانحرافات المقبولة في النظرية الأسلوبية

للانحراف أشكالٌ متعددة لا تتوقف عند حدٍ شكل واحد أو نمط واحد. قد حاول ايس ماركوس (S Marcus) لتحديد الانحرافات إلى المقبولة وغير مقبولة، وذكر الانحرافات المقبولة في النظرية الأسلوبية إلى خمسة أنواع:-

النوع الأول: انحرافات يمكن أن تندرج - حسب درجة امتدادها في النص - في الانحرافات المحلية أو الشاملة. وبصيغ الانحراف المحلي أو الموضعي جزءاً محدداً من السياق، ويمكن وصف الاستعارة بأنها: انحراف موضعى عن اللغة المعيارية. أما الانحراف العام أو الشامل فإنه بصيغ النص كله، فتردد وحدة لغوية معينة بكثرة غير مألوفة، أو ترددتها بندرة غير مألوفة في نص ما، إنما هو انحراف عام يمكن تحديدها إحصائياً.

والنوع الثاني: يمكن أن تتتنوع الانحرافات حسب صيتها بنظام القواعد الموجودة في المعيار اللغوي إلى انحرافات سلبية وأخرى إيجابية، ولا ترى الانحرافات السلبية على أنها تقيد أو تضيق للمعيار، أما الانحرافات الإيجابية فإنها تقدم قواعد إضافية لتقييد المعيار وتحديده وتنشأ في الحالة الأولى تأثيرات شعرية بالاعتداء على القواعد النحوية، وفي الحالة الثانية بقيود في النص كقفافية مثلاً. كما نجد له الأمثلة في الشعر: حيث يردد الشاعر اسمها في كل شعر.

والنوع الثالث: يمكن أن تصنف الانحرافات على ضوء صفة المعيار بالنص مجال التحليل، هكذا تتميز الانحرافات الداخلية من الخارجية فيوجد أي انحراف داخلي حينما تبرز وحدة لغوية عن المعيار الممتد في النص كله، أما الخارجي فإنه يحدث إذا انحراف أسلوب النص عن معيار اللغة المعينة. ويقسم هذا النوع عدولاً إلى قسمين: العدول الداخلي والعدول الخارجي.

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامى والمحدثين

والنوع الرابع: تصنف الانحرافات بناء على المستوى اللغوي الذي تحدث فيه، وبهذا يمكن تمييز الانحرافات التالية: الخطية أو الكتابية، الفنولوجية - الصرفية - النحوية - الدلالية.

والنوع الخامس: تتميز الانحرافات في النهاية بناء على وجود أساس آخر مثل الوحدات اللغوية أو اندماجها بالمعنى الذي ورد عند جاكبسون. إن الانحرافات النحوية التركيبية التي تأتي في تتبع الرموز اللغوية تخل بنظم الاندماج، مثلاً انحراف موقعية الكلمة عن المعيار. أما الانحرافات الأجناس الجدولية فإنها تخل بنظم الاختيار عند انتقاء الرموز اللغوية مثل ذلك، انحراف الأجناس النحوية: الصفة بدلاً من المبتدأ - المفرد بدلاً من الجمجم⁶⁵.

ولا شك إن الانحرافات في نص من النصوص مبعث حيويته وعلامة على أدبيته وخروج اللغة عن مألفها. والنتيجة التي وصلت إليها أن الأسلوب كُلُّ وإنحراف أو العدول جزء منه. والعلاقة بينهما كلية وجزئية. وبحيثي يدور حول العدول وأقسامه، ولا علاقة له بالأسلوب الكامل. وأرى كثيراً من نصوص أدبية ذات قيمة غير أنها لا تحتوي على انحرافات كثيرة.

ما هو المعيار

عمد الدارسون إلى البحث عن المعيار الذي يحدث عنه الانحراف، ويمكن من خلاله وصف ظاهرة أسلوبية بأنها انحراف، وتبدو مثل هذه العملية سهلة ويسيرة، لكنها في الواقع قادت وتقود إلى بعض الإشكاليات، التي تتعلق بعملية الدراسة الأسلوبية وتحليل الاجراءات الأسلوبية.

والشكلة الأساسية التي تواجه الانحراف هي: تحديد طبيعة المعيار الذي يحدث عنه الانحراف، فالانحراف يفترض مسبقاً أن هناك معيار يتم تحديد الانحراف على أساسه، ويتجلى أن الباحثين راحوا يفتّشون عن العنصر الذي يتم الانحراف عنه فسموه "القاعدة" والمعيار، واللغة العادية، والأسلوب المستعمل، واللغة التثرية.

ويرى ريفاتير أن السياق هو المعيار، بدلاً من أن يبحث عن المعيار في أشياء خارجة عن السياق وجد أن السياق نفسه يمكن أن يكون هو المعيار⁶⁶.

ولم يتوقف الأمر في تحديد عنصر الانحراف عند هذا الحد بل ذهب بعضهم إلى تحديد المعيار وذلك من خلال التفريق بين اللغة الشعرية واللغة التثريحية، وقد تجلى هذا الأمر بصورة جلية وواضحة عند جان كوهين الذي يقول: "إن الشر هو المستوى اللغوي السائد، فإننا يمكن أن تتخذ منه المستوى العادي ونجعل الشعر مجاوزة تقاس درجته إلى هذا المعيار"⁶⁷.

إن القيمة الجمالية للانحراف قد جعله عنصراً أساسياً في عملية الإدراك الجمالي للأدب، وفي ضوء هذا فقد عمد هنريش بليت (Plett) إلى وصف الانحراف بالجمالي في النقاط الآتية:

النقطة الأولى: الانحراف الجمالي: اللانحوية، والمقصود بهذا هو الانحراف الخارق للمعيار النحو المتعارف عليه. ويراد به خروج الكلام عن النمط المألوف العادي المستعمل حسب قواعد التحويلية المقررة في كتب النحو. ولا ينتهي هذا النظام الجاري إلا لأغراض بلاغية عالية يدركها أهل العلم والبصيرة. والنقطة الثانية التي أشار إليه بليت، هي: الانحراف الجمالي: التنااسب، والمقصود به الانحراف للقاعدة، فالتناسب يمكن أن يحدث من خلال التكرار والتثاءلات والتطابقات، وتناسب أشكال صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية وطبعية.

والثالثة: الانحراف الجمالي: الحدوث، وهذا يعني قلة ورود الظواهر اللغوية من الناحية الاحصائية أي: إن لغة القصيدة ما هي إلى حدوث ذا طبيعة فردية يختلف عن اللغة العادية أو اليومية. ويدوّلي يراد بهذه النقطة: تمييز بين اللغة الشعرية واللغة العادية.

والرابعة: الانحراف الجمالي: المعاودة أو التناوب، ويعني هذا كثرة ورود الظواهر اللغوية من الناحية الإحصائية بحيث تأتي عناصر لغوية في النص الأدبي ولا تأتي في اللغة اليومية.⁶⁸

المقارنة بين القدماء والمحدثين

إن الخلاف حول ماهية القاعدة المعدول عنها في بنية العدول، خلاف قديم تند جذوره إلى أمصار التراث البلاغي العربي، فقدمياً اشترط جمهور البلاغيين في مبحث (التفات) حضور الضمير الملتف عنه في صورة الالتفات، في حين وسع السكاكي الدائرة فلم يشترط وجود الضمير الملتف عنه، بل يكفي - في رأيه - أن يستعمل ضمير واحد على خلاف مقتضى الظاهر⁶⁹.

قد وظف البلاغيون مادة (عدل)، كما عرف عبد القاهر الجرجاني: "وغربي بهذا أن أعلمك أن من عدل عن الطريق في الخفي، أفضى به الأمر إلى أن ينكر الجلي"⁷⁰. ويقول أيضاً: "إذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز".⁷¹.

ويقول السكاكي: "ومتأخرن ما وقعوا في التطويلات وتدوينهم لما دونوا من الأسفار إلا لعدولهم في العكس عن حفظ الجهة، وأول حاملٍ لهم - فيما أرى - على العدول عنه المتعارف العامي".⁷²

ويambil د. حسن الطبل (وهو من المحدثين) إلى رأي جمهور في هذه القضية فيقول: "والحق أن الرأي الذي تبناه جمهور البلاغيين في هذا الصدد هو أقرب إلى الصواب، ذلك أنه ليس ثمة تحول أو نقل في إيراد نوع

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامى والمحدثين

من أنواع الضمائر في مقام يقتضي سواه، أو لنقل - بعبارة أخرى - إن النقل الذي نلحظه في مثل هذا الإيراد إنما هو نقل تقديري عما تقتضيه مواضعات اللغة، وليس نقلًا أسلوبياً متجلساً بطرفين في نسيج الكلام⁷³. وفي الدرس اللغوي الحديث نجد أصداء لهذا الخلاف في مقولتين أو نظريتين أسلوبيتين هما نظرية الاختيار عند جاكبسون، ونظرية السياق عند ريفاتير.

وفي ضوء نظرية العدول ندرك أن الصيغة البدائل تمثل القاعدة المعيارية أو الأصل المعدل عنه، وأن هذه البدائل متعددة ومتنوعة فإن تعددتها يقتضي تعدد القواعد المعيارية المعدل عنها. فلا يمكن والحال هذه أن تحدد القاعدة المعيارية الصحيحة التي تم العدول عنها.

ومن هذه الزاوية ندرك القيمة الأسلوبية لحضور القاعدة / المعدل عنها في السياق اللغوي. إن هذا الحضور يوفر على الدارس مشقة تركيز الذهن على القاعدة الغائية حيث تقع في الذهن، ويجنبه مغبة الوقوع في الأخطاء التقديرية لهذه القاعدة.

لذلك نجد أن ريفاتير يرفض مقوله القاعدة الخارجية عن النص، لعدم قابليتها للتحديد من جانب، ولعدم أهميتها في إبراز الأسلوب بدقة من جانب آخر⁷⁴. وهو يرى إذا كان ذلك كذلك، فإن البديل الأمثل هو السياق، يقول: "فالسياق هو الذي يمثل خلفية محددة دائمة وهو الذي يقوم بدور القاعدة. وافتراض أن الأسلوب يتخلق بالانحراف الداخلي عن السياق الدائم افتراض خصب.... السياق الأسلوبى هو: نموذج لغوى ينكسر بعنصر غير متوقع"⁷⁵. وفي ضوء نظرية السياق عند ريفاتير فإن النص نفسه يحمل في طياته النمط والتجوز في نفس الوقت⁷⁶.

وإذا كان جمهور البلاغيين العرب القدماء يشترطون حضور الضمير الملتفت عنه في بنية الالتفات، فإن نظرية العدول السياقي عند ريفاتير هي أقرب شيء إلى ظاهرة الالتفات في البلاغة العربية، ولذا تعد من نقاط الالتفاء بين الأسلوبية الحديثة وبين البلاغة العربية في تناولها لظاهرة العدول، وخاصة في مبحث الالتفات.

دراسة الأسلوبية تحاول مقاربة ظاهرة العدول في الصيغ على شرط جمهور البلاغيين العرب القدماء، وتحت مظلة نظرية السياق عند ريفاتير، متجاوزة مبدأ (الاختيار) عند جاكبسون الذي يفهم على أنه حالة غياب المعدل عن النص اللغوي بوصفه عنصراً احتمالياً حاضراً في الذهن يمكن أن يحمل محل المعدل إليه، وإن كان لا يطابقه تماماً في القيمة الدلالية والوظيفية التعبيرية.

عند القدماء نجد مصطلحاً (السامع)، وينظره في الدرس اللغوي الحديث مصطلح (المتلقي). والزمخري يؤكّد وظيفة أساسية من وظائف العدول هو وظيفة تجديد نشاط السامع وإزالة السام عنه، حيث

يقول الزمخشري: "إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظ الإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد".⁷⁷

المصطلح: (العدول) أكثر دقة عند العرب

يبدو إن للعدول أو الانحراف مصطلحات مختلفة عند الباحثين الغربيين باختلاف النقاد الذين تعاملوا معه، فقد عدد بول فاليري (تجاوزاً)، وبارت (فضيحة)، ونودروف (شنودزاً)، وجان كوهين (انتهاكاً)، وتيريري (كسرًا)، وراجون (جتنا).⁷⁸

بعد تصفح الكتب وصلت إلى نتيجة أن النقاد الغربيين قد أطلقوا على هذه الظاهرة الأسلوبية أسماء مختلفة توحى باللامألف وتصف التجاوز والتخطي، فإن الباحثين العرب قد كشفوا عن تعدد المفاهيم التي تصف هذه الظاهرة، فقد سماه نفر غير قليل "الانحراف". وأكد كثير منهم أهمية هذا العنصر في قراءة النص الشعري مع أن بعضهم قد ربطه بالمجاز والاستعارة وتجاوز بعضهم ذلك وربطوا بالغموض والمحذف والتقديم والتأخير والمجاز بصورة المتعددة.

والشكلة التي تكثر في صعوبات قارئ، حيث ناقد واحد استعمل مصطلحات مختلفة في كتاب واحد، نحو يقول د. موسى رباعة في تعريف الأسلوب: هو ابتعاد عن الكلام المألف المستعمل، فقولنا سال ماء الوادي" قول مألف، أما قولنا: "سال الوادي" فابتعاد عن المألف وخروج عن المستعمل، وبالتالي نحن تجاه ظاهرة أسلوبية تعرف بالابتعاد".⁷⁹

ويقول في كتابه في مقام آخر: إن الأسلوب هو نشاز وانحراف عن الكلام المألف المستعمل، فقولنا "سال ماء الوادي" قول مستعمل، أما قولنا "سال الوادي" فانحراف عن المستعمل وخروج عن المألف، وبالتالي نحن تجاه ظاهرة أسلوبية تعرف بالنشاز.⁸⁰

لقد جاءت في هذا الكلام ثلاثة أسماء لسمى واحد وهي "الابتعاد"، و"النشاز" و"الانحراف"، وهذا شاهد واضح على عدم استقرار المصطلح النقدي عند الناقد الواحد.

علاقة الأسلوبية بالبلاغة

لا شك إن للأسلوبية صلة عميقة بالبلاغة القديمة، حيث يرى شارل بالي أن الأسلوبية تتبعُ من البلاغة القديمة، وإن كانت تستخدم وسائل تحليلية حديثة.

ونجد شواهد كافية تدل على ثبت العلاقة بين البلاغة والأسلوبية، ويذهب مع هذا التيار غريماس وكورتيس اللذان يقولان: "ليست الأسلوبية إلا حقلًا من الأبحاث ينضوي تحت التقليد البلاغي، ولكنها

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامى والمحدثين

استندت تارة إلى اللسانيات، وطورا إلى الدراسات الأدبية، فإن الأسلوبية لم تنجح في أن تنظم نفسها داخل علم مستقل^{٨٠}.

ومن الشواهد التي تدل على علاقة بين البلاغة والأسلوبية ما ذكره عبد السلام المساي، وهو يقول: "تحديد الأسلوبية بمقارنتها بالبلاغة، وقوام مُصادرتنا التي نطلق منها هو أن للأسلوبية واللسانيات أن تتواءجداً، أما الأسلوبية والبلاغة كمُتصورِّرين فكَيْنِ فمثلاً شحتين متناقضتين متصادمتين لا يستقيم لهما تواجدُ آنيٍ في تفكير أصولي مُوحِّدٍ"^{٨١}.

ثم يظهر أن الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثها المباشر، ويرى صارت الأسلوبية بديلاً عن البلاغة، ويقول بعد ذلك: "والمفهوم الأصولي للبديل أن يتولد عن واقع معطى وريث ينفي بموجب حُضوره ما كان قد تولد عنه، فالأسlovية امتداد للبلاغة نفي لها في نفس الوقت، هي لها بمثابة جبل التواصل وخط القطيعة في نفس الوقت أيضاً"^{٨٢}.

من خلال التحقيق وصلت إلى نتيجة أن الدراسات الجديدة التي اهتمت بالازياح أو العدول باعتباره ظاهرة أسلوبية تعد من أكبر الدراسات وأوسعها انتشاراً، ويعتبر ريفاتير وجان كوهن من أبرز الأسماء التي تناولت الازياح كنظرية جديدة في بناء النظام اللغوي.

اصطلاحات ومرادفات للأسلوب والانحراف

يبدو أن تعريف الأسلوب بأنه انحراف من أكثر تعريفات الأسلوبية شهرة وانتشاراً. ويرتبط الانحراف بالاختيار ارتباطاً وثيقاً، لأن الاختيار يقوم على إمكانيات متعددة تفتح المجال لحدوث الانحراف، وتحققه وتجليه إذ إن الاختيار يمكن أن يبرر بالمقارنة مع حالة الحياد أو الأسلوب المحايد أو ما يعرف بالدرجة الصفر وبذلك فإن الاختيار يفتح على الانحراف بشكل وثيق إن انتشار مفهوم الأسلوب على أنه انحراف يتجسد بشكل كبير في معالجة النقاد المختلفة له، فقد وقف بعض النقاد من هذا التعريف موقف متفاوتة، وقيمة بعضهم تقيساً إيجابياً في حين قومه الآخرون تقيساً سلبياً، فقد شاعت عبارة فاليري التي قال فيها إن الأسلوب هو في جوهره انحراف عن قاعدة ما وشاركه في هذا الرأي كثير من النقاد ودعوا إلى ضرورة أن يعتاد الباحث على القاعدة أولاً حتى يتمكن من اكتشاف الانحرافات المتفرعة عنها.

وإذا كان مصلح الانحراف مصطلحاً إشكالياً في النظرية النقدية الغربية، إذ وجد له أكثر من مرادف من مثل: الازياح والتجاوز والإغاثة والمخالفة والشناعة والانتهاك وخرق السنن واللحن والعصيان والتحريف. فإنه في النقد العربي القديم والحديث قد وجد أيضاً مرادفات أخرى تصف هذا الإجراء، من مثل الاتساع والعدول والمخالفه والغرابة، وغيرها من المصطلحات الأخرى^{٨٣}.

الانحرافات المقبولة عند ايس ماركوس ورأي د موسى سامح رباعة

إن هذه الأشكال التي قدمها ماركوس والأشكالات الأخرى للانحراف، لم تكن عناصر يمكن قبولها دون اعتراض إذ إن مفهوم الانحراف بحد ذاته تم الاعتراض عليه. لأن الانحراف يمكن أن يكون مفهوماً فضفاضاً بحيث يمكن القول إن اللغة الشعرية هي الانحراف عن اللغة العادية أو عن لغة النثر، ولكن لغة النثر في بعض الأحيان تكون مختلفة بأمساك شعرية، وبخاصة في ضوء تداخل الأجناس الأدبية، فقد انتقل السرد إلى الشعر مثلاً كما أن بعض عناصر الشعرية تتجسد في الرواية والقصة وغيرها من الأجناس الأدبية.⁸⁴

ثم يقول الدكتور: "إن مفهوم الانحراف يمكن أن يكون ضيقاً مقتضاً على المجازات وبعض الإجراءات الأسلوبية المتعلقة بالبلاغة، من مثل الاستعارة والتقديم والتأخير والمحذف وغيرها، ولكن هل كل النصوص الأدبية استعارات أو تقديم أو حذفاً أو تأخيراً أو حذفه؟ إن هذه الإجراءات أو الطواهر الأسلوبية تأتي بصورة أو بأخرى في النصوص الأدبية، لكن ليس النص الأدبي كله استعارة أو تقديم أو تأخيراً أو حذفاً وغير ذلك من الإجراءات الأسلوبية، لذلك فإن مواجهة الانحرافات في نص من نصوص يعني التركيز على عناصر دون العناصر الأخرى".⁸⁵

موافقة بين القدماء والمحدثين في تحقيق المعيار

بحث الدارسون المحدثون عن المعيار الذي يحدث عنه الانحراف، ويمكن من خلاله وصف ظاهرة أسلوبية بأنها انحراف، وتبدو مثل هذه العملية سهلة ويسيرة، لكنها في الواقع قادت وتقود إلى بعض الإشكاليات، التي تتعلق بعملية الدراسة الأسلوبية وبتحليل الإجراءات الأسلوبية.

ومن المشاكل التي تواجهها الانحراف منها تحديد طبيعة المعيار الذي يحدث عنه الانحراف، فالانحراف يفترض مسبقاً أن هناك معيار يتم تحديد الانحراف على أساسه، ويتجلى أن الباحثين راحوا يفتشون عن العنصر الذي يتم الانحراف عنه فسموه "القاعدة" والمعيار، واللغة العادية، والأسلوب المستعمل، واللغة التثريمة.

ويظهر أن البحث عن المعيار الذي يتحدد من الانحراف قضية قد شغلت بالنقاد والبلغيين العرب القدماء، فقد ظهر عندهم أسماء تقترب مما أطلق عليه الباحثون المحدثون "المعيار" الذي تحرّف عنه اللغة الشعرية، فاللغة المحورة التي ترتبط بعد جمالي يشحّن المتنقي بطاقة انتفاعية كانت وراء البحث عن العادي والمأثور الذي يتمثل بالمعيار، ولذلك ظل البحث الندي والبلاغي والعربي القديم مشغلاً بالبحث عن معيار يمثل الحالة الطارئة الناتجة عن الاستخدام غير العادي للغة.⁸⁶

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامي والمحذفين

ظهرت في الموروث البلاغي والنقدى أسماء تشير إلى المعيار، ومن الأمثلة على ذلك حد الاستعمال والعادة، يقول الجرجاني: "وقد كان بعض أصحابنا يجاريوني أبياتاً أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة وخرج عن حد الاستعمال والعادة"^{٨٧}. فحد الاستعمال والعادة معادلة لما عرف في البحث الأسلوبى المعاصر (المعيار) الذى تخرج عنه اللغة الشعرية في مخالفتها لما هو عادي ومستعمل.

جعل القدماء المعيار وجود الأصل ويقاس إليه كل خروج في اللغة، ولذلك فقد أشاروا إلى كثير من الأشياء التي تحدد المعيار الذي يتحدد به كل خروج من الخروجات، فقد تواترت عندهم مقوله أصل اللغة.

موافقة القدماء والمحدثين على أهمية السياق

ومن مظاهر الاتفاق بين القدماء والمحدثين منها: (السياق).

ويبدو دور السياق فاعلاً في تحديد فصاحة الكلمات وبلامغتها التي لا تكون في الألفاظ المجردة أو المفردة بل تكون في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، فالسياق هو الذي يحدد فصاحة الألفاظ ومناسبتها لمعانيها، ويقول عبد القاهر الجرجاني عن السياق: "إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تشق عليك وتوحشك في موضع آخر"^{٨٨}.

ويحدد التركيب السياقات المختلفة للألفاظ والجمل. ويبز السياق بدوره تعاقب الكلمات واحدة بعد أخرى، وتكوين العلاقات بين الكلمات المختلفة. فلا تفاضل للكلمات والجمل من غير النظر إلى السياق الذي وردت فيه، وقد مثل عبد القاهر ذلك بقوله: "فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدّاً كيف جاء واتفق وأبطلت نضده ونظامه الذي عليهبني وفيه أُفرغ المعنى وأجري، وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد، نحو أن تقول في:

(فِقَائِبُكَ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمِنْزِلٍ)

منزلٌ فقا ذكرى من نبكِ حبيبٍ، أخرجه من كمال البيان إلى مجال المذيان، نعم وأسقطت نسبته من صاحبه"^{٨٩}.

ورأى عبد القاهر إن السياق يكشف لنا عمّا في التركيب من نسيج متشعب من الصور. ويفسر قيمته في التركيب بما يكون بين الكلم من علاقات، وهو لب السياق الكلامي.

يقول محمد زكي العشماوى في هذه القضية: "إن نظرية عبد القاهر الجرجاني للسياق نظرية مبكرة وسابقة لما وصلت إليه الدراسات الغربية الحديثة من نظريات ومقولات، ونجد الناقد الإنجليزى ريتشارد (Richards) يتحدث عن السياق ولا يضيف شيئاً عما ذكره عبد القاهر حيث يذكر في هذا الشأن: "ومعنى أي لفظ لا يمكن أن تتعدد إلا من علاقة هذه اللفظة بما يجاورها من ألفاظ"^{٩٠}

النتائج

- إن الخلاف حول ماهية القاعدة المعدول عنها في بنية العدول، خلاف قديم تمتد جذوره إلى أعماق التراث البلاغي العربي.
- ويرى معظم الباحثين أن الأسلوب قائم على جذور البلاغة، وهو الأصل له في البنian. ثم أضاف المحدثون أرواحاً جديدة في الفن وأوصلوه إلى المرتبة العلي.
- توجد بعض المواقف والخلافات بين علم البلاغة وعلم الأسلوب.
- ومن النتائج التي وصلت إليها أن الأسلوب كُلُّ الإنحراف أو العدول جزء منه. والعلاقة بينهما كلية وجزئية.
- من خلال التحقيق وصلت إلى نتيجة أن الدراسات الجديدة التي اهتمت بالازياح أو العدول باعتباره ظاهرة أسلوبية تعد من أكبر الدراسات وأوسعها انتشاراً، ويعتبر ريفاتير وجان كوهن من أبرز الأسماء التي تناولت الازياح كنظرية جديدة في بناء النظام اللغوي.
- ومن نتائجها، إن الأسلوبية وصفية والبلاغة معيارية، لأن المعيار مأخوذ من لغة فصحي، أما الأسلوب فهو يعامل بلغة فصحي.
- تتلخص في أن منحى البلاغة مُتعالٍ، بينما تميل الأسلوبية اتجاهها اختبارياً، معنى ذلك أن المتحرك للتفكير البلاغي قد يتسنم بتصور ما هي الأشياء وجودتها، بينما يتسم التفكير الأسلوب بالتصور الوجودي الذي بمقتضاه لا تحدّد للأشياء ماهيتها إلا خلال وجودها.
- وصل العلماء إلى نتيجة أن القدماء عندهم مظاهر التطبيق أكثر شيوعاً من المحدثين، أما المحدثون لهم السبق في النظريات من القدماء.

المصادر والمراجع

- 1 جهرة اللغة/ المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد المتفوّق 321هـ/ المحقق: رمزي منير بعلبكي / الناشر: دار العلم للملايين - بيروت / الطبعة الأولى: 1987م / عدد الأجزاء: 3 / الجزء الأول / الباب: دع ل / ص: 355.
- 2 لسان العرب / أبو الفضل، محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الإفرقي: المتفوّق: 711هـ / الناشر: دار صادر - بيروت / الطبعة الثالثة: 1414هـ / عدد الأجزاء: 15 / الباب: عدل / الجزء الحادي عشر / ص: 430.
- 3 تاج العروس من جواهر القاموس / المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني الزبيدي، الملقب

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامى والمحدثين

- بمرتضى / تحقيق مجموعة من المحققين / الناشر: دار الهداية / عدد الأجزاء: أربعين. / الباب: ع د ل / الجزء التاسع والعشرين / ص: 445 . - 4
 البرهان في وجوه البيان / تأليف: لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب / تقدم وتحقيق: د. حفيظ محمد شرف / طبع الكتاب: 1400هـ - 1980م. بيروت - لبنان. / ص: 122 . - 5
 الخصائص / المؤلف: أبو الفتح عثمان ابن الحفي / تحقيق: محمد على التجار / الناشر: دار الهدى للطباعة والنشر / ص: 974 . - 6
 المصدر نفسه / ص: 145 . - 7
 المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / المؤلف: ضياء الدين بن الأثير / قدمه وعلق عليه: د. أحمد المفتي و د. بدوي طبابة / الناشر: دار نهضة للطبع والنشر الفجالة مصر. القاهرة / المجلد الثاني / ص: 180 . - 8
 غافر / الآية: 67 . - 9
 الحجرات / الآية: 10 . - 10
 التحرير / الآية: 4 . - 11
 مجاز القرآن / المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى: 210هـ) / تحقيق: الدكتور محمد فؤاد سرکین / الناشر: مكتبة الحانجى بالقاهرة. المجلد الأول / ص: 9 . - 12
 تأويل مشكل القرآن / تأليف: الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى: 276هـ / تحقيق: إبراهيم شمس الدين . / ص: 20 . - 13
 بلوغ الأرب في علم الأدب / مؤلف: المطران حرمانوس فراتس المتوفى سنة 1145هـ . / تحقيق: إنعام فوال / دار المشرق ش م التوزيع / المكتبة الشرقية . بيروت لبنان. / ص: 39 . - 14
 نقد الشعر / تأليف: أبو الفرج قدامة بن جعفر (260هـ - 337هـ) / تحقيق وتعليق: الدكتور محمد عبد المتعيم حفاجي / ناشر: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان. / ص: 53 . - 15
 عيار الشعر / المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد . ابن طبا العلوي المتوفى: 322هـ / المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع / الناشر: مكتبة الحانجى . القاهرة / عدد الأجزاء: 1 / ص: 11 . - 16
 نفسه / ص: 11 . - 17
 دلائل الإعجاز / المؤلف: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني / الحقق: محمود أحمد شاكر / الناشر: مكتبة الحانجى . - 18
 مطبعة المدين / عدد الأجزاء: واحد. / ص: 138 . - 139 . - 19
 سورة البقرة / الآية: 31 . - 20
 الكثاف عن حقائق غوامض التنزيل / المؤلف: محمود بن عمرو بن أحد الرمخشري / الناشر: دار الكتب العربي بيروت / الطبعة الثالثة: 1407م / عدد الأجزاء: 4 . المجلد الأول / ص: 64 . - 21
 المثل السائر / ضياء الدين ابن الأثير / الجزء الثاني / ص: 168 . - 22
 ينظر: نفسه / ص: 169 . - 23
 مفتاح العلوم / المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكى / الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -

- لبنان/الطبعة الثانية: 1407هـ / ص: 140.
- ينظر: نفس المرجع / ص: 139.
- سورة الإبراهيم / الآية: 38.
- تفسير أطفيش / الجزء الرابع / ص: 476.
- هو عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم ابن الأثير (ت: 630هـ) وفي وفاته أقوال مختلفة وهي: (629هـ) (630هـ) (637هـ). وأشهر القول: (630هـ).
- سورة هود / رقم الآية: 103.
- المثل السائر: 186 . 168/2.
- سورة آل عمران / رقم الآية: 126.
- ينظر: الأسلوبية . مدخل نظري ودراسة تطبيقية / د: فتح الله أحمد سليمان/ الناشر: مكتبة الآداب 42 ميدان الأوبرا القاهرة/ الطبعة الأولى / (م.م) ص: 33.
- خصائص الأسلوب في الشوقيات /ألفه: محمد المادي طرابلسي / دار النشر: المجلس الأعلى للثقافة 1996 / ص: 350.
- السابق / ص: 34.
- هو leo Spitzer (1887-1960). يقول عنه عبد السلام المسدي: غساوى النشأة، الماني التكوين، فرنسي الاختصاص، وهو من علماء اللسانيات ونقاد الأدب من مؤلفاته: دراسات في الأسلوب، والأسلوبية اسمه في اللغة الفرنسية: pierre Guiraud (1912-1983) في فرنسا، وتوفي 1983م.
- السابق / ص: 352.
- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / د. موسى رباعة جامعة الكويت / دار الكتبية للنشر والتوزيع. الأردن أربد / الطبعة الأولى: 2003 / ص: 21.
- التقى المنهجي عند العرب / د. محمد مندور / دار النهضة للطباعة والنشر، مصر / طبع: 1969 / ص: 265.
- الكتابة في درجة الصفر / المؤلف: رولان بارت / المترجم: د. محمد نعيم خشقة . ترجمه عن الفرنسية / الناشر: مركز الإنماء الحضاري / الطبعة الأولى: 2002 . ص: 19.
- انظر: الأسلوبية . مدخل نظري ودراسة تطبيقية / المؤلف: د: فتح الله أحمد أحمد سليمان/ الناشر: مكتبة الآداب ميدان الأوبرا القاهرة/ الطبعة الأولى. / ص: 09.
- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / ص: 44.
- Roman Jakobson ولد موسكو سنة 1896 واهتم منذ سنه الأولى باللغة واللهجات، وفي سنة 1915 أسس مجتمعه ستة طلبة النادي اللساني موسكو، وعنه تولدت مدرسة الشكليين الروس، وفي سنة 1920 انتقل جاكوبسون إلى تشيكوسلوفاكيا فaux دكتوراه سنة 1930، بعد أن أسهمن في تأسيس (النادي اللساني براغ) سنة 1920 وفي سنة 1933 انتقل إلى مدينة برنو (Brno) فدرس بجامعة مازاريك (Mazaryk)، وفي سنة 1939 انتقل إلى الدنمارك والنورويج فدرس في كوبنهاغن، وأسلو (Olso). وفي سنة 1941 رحل جاكوبسون إلى الولايات المتحدة فدرس في نيويورك وتعرف بلاليغي ستروس، ثم انتقل إلى جامعة هارفارد (Harvard) والمعهد التكنولوجي.

ظاهر العدول بين البلاغيين القدامى والمحدثين

- الأسلوبية والأسلوب بعد السلام المبني / ص: 37. - 43
- Michael Riffaterre هو أستاذ بجامعة كولومبيا (Columbia) أهم جامعات نيويورك بالولايات المتحدة، اختص بالدراسات الأسلوبية منذ مطلع العقد الخامس في القرن العشرين، وأبرز مؤلفاته (محاولات في الأسلوبية البنوية). - 44
- نفسه / ص: 49. - 45
- اسمه الكامل: Julse Marouzeau. ولد في 1878م في ولورت فرنسا، وتوفي: 27 ستمبر 1964 في فرنسا. كتبه في اللغة الفرنسية ولذلك ما استطعت أن أذكر تعريفه في اللغة الأصلية. - 46
- نفسه / ص: 102. - 47
- كتاب اسمه في الإنجليزية (Charles Bally)، ولد 1865م. وتوفي في 1947. واسمه استاذ ف. دي سوسيير Fardinand de Saussure). من كتبه في الأسلوبية الفرنسية، صدر عام 1925. والجمل في الأسلوبية صدر عام 1905. واللغة والحياة، صدر عام 1913. واللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية صدر عام 1932. - 48
- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / د. موسى رباعية / ص: 09. - 49
- نظريّة المعنى في النقد الأدبي / ص: 85. - 50
- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / ص: 10. - 51
- الكتابة في درجة الصفر لرولان بارت / ص: 82. - 52
- الأسلوبية والأسلوب / ص: 159. - 53
- انظر: اتجاهات البحث الأسلوبي / د. شكري محمد عياد / دار العلوم الرياض / ص: 34. - 54
- معايير تحليل الأسلوب / المؤلف: ميكائيل ريفاتير / ترجمة تقدم وتعليقات: د. حميد حمداني / منتديات سور الأزكية/منشورات دراسات . سال / الطبعة الأولى: 1993 / دار النجاح الجديدة . البيضاء / ص: 5. - 55
- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب لبيبا . تونس / توفيق الزيدى / طبع: 1984 / ص: 86. - 56
- إشارة اللغة ودلالة الكلام / موريس أبو ناصر / ص: 85 و 155. - 57
- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / ص: 18. - 58
- الأسلوبية والبلاغة / محمد عبد المطلب / دار نوبار للطباعة القاهرة / ط: أول / 1994 م / ص: 145. - 59
- الأسلوبية والأسلوب / ص: 34. - 60
- البنية الأسلوبية / حسن ناظم / دراسة في أنشودة المطر للسياب / المركز الثقافي العربي / الدار البيضاء / المغرب /طبع الأول: 2002 / ص: 43. - 61
- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / ص: 28. - 62
- البلاغة والأسلوبية / محمد عبد المطلب / ص: 198. - 63
- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقد / المؤلف: الولي محمد / الناشر: المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان/ سنة الطبع 1990 / ص: 17. - 64
- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / ص: 35. - 65
- المصادر / ابن جن / ص: 449. - 66

- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / ص: 52 . 67
- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث / توفيق الزيدي / ص: 86 . 68
- ينظر في: تحولات البنية / ص: 298 . 69
- أسرار البلاغة / المؤلف: عبد القاهر الجرجاني / تحقيق: عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية بيروت لبنان / طبع: 70 . 132 ص / ج: 1 / 2001
- نفسه / 147/1 . 71
- مفتاح العلوم: 1 / 211 . 72
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية / المؤلف: الدكتور حسن طبل / متلزم الطبع والنشر: دار الفكر العربي / مدينة نصر . 73
- القاهرة، 1418هـ. 1998م. / ص: 26 .
- انظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته/ الدكتور صلاح فضل / الطبعة الأولى: 1419هـ. 1998م / الناشر: دار الشروق . 74
- القاهرة. مصر / ص: 236 . 75
- نفسه / ص: 224 . 75
- انظر: القراءة الأسلوبية بين الإنسانية والهيكلية / ص: 369 . 76
- الكافش للزمخشري / المجلد الأول / ص: 14 . 77
- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / ملسو رياضة / ص: 44 . 78
- نفسه / ص: 44 . 79
- الأسلوبية في النقد العربي الحديث / نور الدين السد / رسالة دكتواره، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994 / ص: 19 . 80
- الأسلوبية والأسلوب/الأسلوبية والأسلوب / المؤلف: عبد السلام المسدي / الناشر: الدار العربية للكتاب / المطبعة التونسية للطباعة وفنون الرسم / الطبعة الثالثة / ص: 51 . 81
- نفسه / ص: 52 . 82
- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / ص: 34 . 35 . 83
- نفسه / ص: 36 . 84
- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها / ص: 36 . 37 . 85
- نفسه / ص: 52 . 53 . 86
- نفسه / ص: 53 . 87
- دلائل الإعجاز / تحقيق: محمود محمد شاكر / ص: 46 . 88
- أسرار البلاغة / ص: 14 . 89
- قضايا النقد الأدبي / محمد زكي العشماوي / ص: 320 . 90